

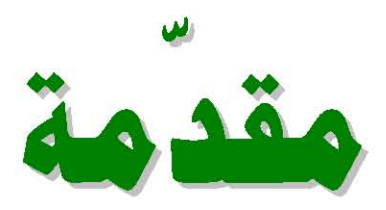

# النّحو العربيّ

**إعداد: جمال مرسلي**

**أستاذ مادة العلوم الإسلامية بقطاع التعليم الثانوي**

**المدية - الجزائر**

بسم الله الرحمن الرحيم



لما كنت في فترة شرح كتاب (قطر النـدى) كنـت أمـرّ علـى الأعـلام المذكورين فيه، فعنّ لي أن أتوسّع في معرفتهم، فكنت أجمع معومات عن العلَم الذي أمرّ عليه، فكانت هذه الكرّاسة.

ولا أدّعي استقراء شاملا لكلّ أعـلام الكتـاب، وإنّمـا هـي مجموعـة اخترتها.

وها هي ذي بين يديك؛ تطّلع على هؤلاء الأعلام، وتعرف مكـانتهم المعرفيّة والعلميّة، ومجهوداتهم وآثارهم في الحقـل المعـرفيّ النحـوي واللغوي وغيهما.

وليعذرني من يجد خطأ في هذه الكرّاسة، ويمكنه تصحيح الخطـأ، أو يرسل لي الملاحظة التي يراها مناسبة، وباللّه التوفيق.

جمال مرسلي



## ( الأوسط )

## إمـام النـحـو

## "أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل"

**أبو عثمان المازني**

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثمّ البصريّ المجاشعيّ مولى لبني مجاشع بـن دارم، البجليّ، المعروف بـ"**الأخفش الأوسط**"[1] في النحو.

---

1 ـ الأخفش لغة: الصغير العين في سوء بصرها، والأخفش لقب جماعة:

منهم: أحمد بن عمران بن سلامة صنف غريب الموطأ.

ومنهم: هارون بن موسى بن شريك الربعي النحوي المقرىء بدمشق.

ومنهم: الحسين بن معاذ بن حرب البصري وكان يستملي للفلاس.

ومنهم: أبو الخطاب عبد الحميد النحوي صاحب عيسى بن عمر ويونس بن عبيد وهو رفيق سيبويه –وهوالأخفش الأكبر أو الكبير–.

ومنهم: سعيد بن مسعدة النحوي صاحب سيبويه –وهو الأخفش الأوسط– الذي نترجم له.

ومنهم: علي بن سليمان النحوي صاحب المبرد –وهو الأخفش الأصغر أو الصغير–.

ومنهم: عبد الملك بن سفيان بن مرزوق اللخمي الفقيه المالكي الإسكندراني.

ومن المتأخرين: محمد بن عبد القوي بن عبد الله بن علي الأنصاري عماد الدين الشاعر الكاتب كان في وسط المائة السابعة.

وإذا أطلق لقب "الأخفش" دون تقييد بالأكبر أو الأوسط أو الأصغر، فلا يراد به إلا الأخفش الأوسط.

وأصله من خوارزم[1]، كان مولده في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة في الأرجح، وكان أجلع[2].

أخذ عن الخليل بن أحمد، وروى عن حمّاد بن الزبرقان، وعن هشام بن عــروة، والكلبــيّ، وعمرو بن عبيد، ولزم سيبويه حتّى برع، وكان الأخفش أسنَّ منه، ولقي من لقيه سيبويه مــن العلماء.

وبعد وفاة سيبويه شهّر الأخفش "الكتاب"، وذلك أنّ كتاب سيبويه لا يعلم أنّ أحدًا قرأه عليــه ولا قرأه سيبويه على أحد، ولكنّه لمّا مات قرئ الكتاب على الأخفش؛ لأنّه كان إذا تصعّب عليه شيء من الكتاب قرأه على سيبويه، وكان ممّن قرأه عليه: أبو عمر الجَرْمــي، وأبــو عثمــان المازني، والكِسائي، ودرسه عليه أبو حاتم السجستاني مرتين.

وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل[3].

لمّا أتى الأخفش بغداد، دخل مسجد الكِسائي، فإذا بين يديه الفرّاء، وخلــف الأحمــر، وابــن سعدان، فسأله عن مائة مسألة، فأجاب، فخطّأه في جميعها، فهمّ أصحاب الكِسائي بــه، فمــنعهم وقال: بالله أنت أبو الحسن؟ قال: نعم، فقام وعانقه، وأجلسه إلي جنبه، وقال: أحــبّ أن يتــأدّب أولادي بك، فأجابه، وبعد أن رجع الأخفش إلى البصرة جاءه الكسائي، فسأله أن يقــرأ عليــه كتاب سيبويه، ففعل، فوجّه إليه بخمسين دينارًا.

وله من الكتب المصنّفة:

1 ــ الأوسط في النحو.

2 ــ غريب القرآن.

3 ــ الاشتقاق.

4 ــ العروض.

5 ــ القوافي.

6 ــ الملوك.

7 ــ مسائل الكبير.

---

1 ــ قاله البلخي في كتاب "فضائل خراسان".

2 ــ قاله ابن النجار، والأجلع هو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه.

3 ــ قاله أبو عثمان المازني، وكان ثعلب يفضل الأخفش ويقول: كان أوسع الناس علما.

8 ــ مسائل الصغير.

9 ــ المقاييس في النحو.

10 ــ الأربعة، ولم يتبين للعلماء مقصده من العنوان.

11 ــ معاني الشعر.

12 ــ وقف التمام.

13 ــ الأصوات.

14 ــ صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها.

15 ــ لامات القرآن.

16 ــ التصريف.

17 ــ الواحد والجمع في القرآن.

18 ــ البسيط.

19 ــ معاني القرآن، ويعدّ من الكتب الأولى في دراسة القرآن الكريم[1]، وقد ألّفه اســتجابة لطلب الكِسائيّ بعد اتّصاله به ببغداد، فجعل الكسائي هذا الكتاب إمامًا، ولشدّة التشابه بين هــذا الكتاب وكتاب أبي عبيدة وصل بالبعض إلى أن يقول: إنّ كتاب الأخفش نسخة مغيّرة من كتاب أبي عبيدة، ولكن مقدار ما أفاده من جاءِ بعد الأخفش من كتابه هذا ينفي هذه المقولة، حيث ترك هذا الكتاب أثره الكبير فيما جاء بعده من الدراسات التي تناولت العربية، أو الدراسات القرآنية، أو المعجمات أيضا، وقد ظهر ذلك الأثر واضحا فيما نقله العلماء من نصوصه، ومثال ذلك ما نقله القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" عن كتاب الأخفش هذا، حيث بلــغ خمســة وســبعين وثلاثمائة نص ــ 375 ــ.

وقد فقدت مؤلّفات الأخفش كلّها إلا أربعة هي:

1 ــ القوافي.

2 ــ العروض.

3 ــ شرح أبيات المعاياة، أو ما يسمّى "أبيات المعاني"، أو "معاني الشعر".

4 ــ معاني القرآن.

توفّي الأخفش سنة إحدى وعشرين ومائتين 221 هــ بعد الفرّاء، وقيل: توفي ســنة خمــس عشرة ومائتين 215 هــ.

---

1 ــ فهو و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة، و"معاني القرآن" للفرّاء، من كتب المعاني التي جاد بها الزمان، فقدر للأجيال المعاصرة دراستها.



## (إمام نحويي ولغويي الكوفة)

## "صاحب العلم المستطيل"

هو أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب، كان ولاؤه لمعن ابن زائدة الشيباني فنسب إليه، ولد سنة مائتين ــ 200 هــ ــ[1].

ابتدأ بالنظر في العربية والشعر واللغة في سنة ست عشرة ومائتين، ولكن عنايته كانت بالنحو أكثر من غيره، فلمّا أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني، ولازم أبا عبد الله بن الأعرابي بضع عشرة سنة، وسمع من نفطويه وغيره، قيل: إنّما فضل أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور، فقد حفظ كتب الفرّاء كلّها، حتّى لم يشذّ عنه حرف منها، وله خمس وعشرون سنة.

---

1 ــ قال ثعلب عن نفسه محددا زمن ولادته: لما قدم المأمون من خراسان، وذلك في سنة أربع ومائتين ــ 204 هــ ــ، وقد خرج من باب الحديد وهو يريد قصر الرصافة، والناس صفان إلى المصلى، فكان أبي قد حملني على يده، فلما مر المأمون، رفعني على يده وقال لي: هذا المأمون وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة، وكان سني يومئذ أربع سنين.

كان يعتمد على ابن الأعرابيّ في اللغة، وعلى سلمة بن عاصم في النحو، ويروي عن ابن أبي نجدة كتب أبي زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيد، وعن أبي حفص كتب الأصمعي، وعن عمرو بن أبي عمر كتب أبيه.

كان ثعلب ثقة، حجّة، صالحا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، مقدّما عند الشيوخ منذ هو حدث، متفنّنا.

وكان ضيّق النفقة، قال أبو بكر بن مجاهد قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ماذا تكون حالي؟ فانصرفت من عنده، فرأيت النبي صلّى الله عليه وسلم تلك الليلة، فقال لي: أقرئ أبا العباس عنّي السلام، وقل له: **أنت صاحب العلم المستطيل.**

كان بينه وبين المبرّد مناظرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كلّ واحد منهما على صاحبه، وحينما سئل المبرد عن "ثعلب" قال: "**ثعلب أعلم الكوفيّين بالنحو**"!

وله من الكتب:

1 ــ الفصيح، وهو صغير الحجم كثير الفائدة.

2 ــ المصون في النحو، وجعله حدودا.

3 ــ اختلاف النحويين.

4 ــ معاني القرآن.

5 ــ المُوَفّقي، مختصر في النحو، نسبه إلى الموفق أخي الخليفة المعتمد.

6 ــ القراءات.

7 ــ معاني الشعر.

8 ــ التصغير.

9 ــ ما ينصرف ومالا ينصرف.

10 ــ ما يُجرى ومالا يُجرى.

11 ــ الشواذ.

12 ــ الأمثال.

13 ــ الأيمان والدواهي.

14 ــ الوقف والابتداء.

15 ــ استخراج الألفاظ من الأخبار.

16 ــ الهجاء.

17 ــ الأوسط.

18 ــ غرائب القراءات.

19 ــ المسائل.

20 ــ حد النحو.

21 ــ تفسير كلام ابنة الخسي.

22 ــ ما تلحن فيه العامة.

23 ــ إعراب القرآن.

24 ــ شرح ديوان زهير.

25 ــ شرح ديوان ابن الدمينة.

26 ــ مجالس ثعلب، أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار، ويعرف أيضا بـ" الأمالي ".

27 ــ شرح ديوان الأعشى.

28 ــ قواعد الشعر.

ثقل سمع أبي العباس في آخر عمره، ثمّ صمّ، وتوفّي في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين ــ 291 هـ ــ، ودفن في جوار داره بقرب باب الشام.

وسبب وفاته أنّه انصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر، وإذا بدواب وراءه، فلم يسمع صوت حافرها، فصدمته فسقط على رأسه في هوة من الطريق، فلم يقدر على القيام، فحمل إلى منزله ومات منه.




## (نابغة علم الصرف)

## "رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"

**المتنبي**

هو أبو الفتح عثمان بن جنّيّ ولد بالموصل، قبل الثلاثين وثلاثمائة ــ 330 هــ ــ.

وأبوه "جِنِّي"[1]، كان عبدا روميا، مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، وقد صرح ابن جني بنسبه الرومي في شعر له، قاله مفتخرا بانتسابه إلى العلم والعلماء:

**فـإنْ أُصْـبِحْ بـلا نسَـبٍ ... فعِلْمِـي فِـي الـوَرَى نَسَـبِي**

**علَـى أنِّـي أؤُول إلـى ... قُـرُومٍ[2] سـادةٍ نُجُـبِ**

**قياصـرةٍ إذا نَطَقُـوا ... أَرَمَّ[3] الـدّهرُ ذو الخُطَـبِ[4]**

---

1 ــ جِنِّي: ــ بكسر الجيم وكسر النون المشددة وسكون الياء ــ، أصل هذا العلم يوناني، وهو " gennaios " ــ جِنّايوس ــ، ويذكرون أنه معرّب " كنّي "، ومعناه في العربية: كريم المحتد، سامي التفكير، فاضل.

2 ــ قروم: جمع قَرْم ــ بفتح فسكون ــ، والقرم من الرجال السيد المعظّم.

3 ــ أرمّ: سكت.

4 ــ الْخُطَب: ــ بضم ففتح ــ، جمع خُطبة ــ بضم فسكون ــ.

**أولاكَ دعا النّبيُّ لهم كفَى شَرَفاً دُعَاءُ نبي**[1]

كان ابن جنّي أشقر أعور، وقد ذكر هذه الصفة هو نفسه في شعر عاتب فيه صديقه فقال:

**صدورك عنّي ولا ذنب لي دليلٌ على نيّةٍ فاسدهْ**

**فقد -وحياتك مما بكيتُ- خَشِيتُ على عيني الواحدهْ**

تلقّى تعليمه الأوّل في الموصل، حتّى انتقل إلى بغداد، واستوطنها إلى أن توفّي فيها.

كان ابن جنّيّ من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالصرف أقوى وأكمل من علمه بالنحو.

<u>**وسبب نبوغه في علم الصرف أكثر من علم النحو:**</u> أنّه كان يقرأ النحو وهو شابّ، بجامع الموصل، وكان بين يديه متعلّم، وهو يكلّمه في قلب الواو ألفا نحو "قام"، و"قال"، فمرّ به أبو علي الفارسيّ، فسأله عن مسألة في التصريف، فقصر فيها، فقال له أبو علي: "زبّبتَ قبل أن تُحَصْرِم"[2]، ثمّ قام أبو علي ولم يعرفه ابن جنّي، فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو علي الفارسي النحويّ، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه من يومئذ مدّة أربعين سنة، واعتنى بالتصريف.

ولمّا مات أبو عليّ تصدّر ابن جنّيّ مكانه ببغداد.

كان ابن جنّيّ رجلَ جدّ، وامرأ صدق في قوله وفعله، فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره، من اللهو والشرب والمجون، وكان عفّ اللسان والقلم، وقد يكون مردّ هذا إلى أنّه اشتغل بالتعليم والتدريس.

وقد خدم ابن جنّيّ البيت البويهيّ: عضد الدولة وأولاده: عصام الدولة، وشرف الدولة، وبهاء الدولة، وفي زمانه مات، وكان يلازمهم في دورهم، وتوثّقت صلته بهم.

وكان ابن جنّيّ يقول الشعر، ويجيد نظمه، وقد اجتمع بالمتنبّي في حلب عند سيف الدولة الحمداني، وناظره في النحو، من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة وإكبارا لنفسه.

1 ـ روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام، فأما كسرى فقد مزّق الكتاب لمّا قرأه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فلما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال في كسرى: مزّق الله ملكه، وفي شأن قيصر: ثبّت الله ملكه.

2 ـ هذا مثل يقال لمن تصدر مجلسا ليس أهلا له، ويقال أيضا: " طار قبل أن يريّش ".

واجتمع به في شيراز عند عضد الدولة البويهيّ، وقد أعجب ابن جنّيّ بالمتنبي، واستشهد بشعره في المعاني، وأحسن الثناء عليه في كتبه، وعبّر عنه بـ"**شاعرنا**".

والدليل على هذا الاحترام والتقدير أن كان ابن جنّي أوّل من شرح ديوان المتنبّي، وله في ذلك شرحان: كبير، وآخر صغير، والأخير هو الباقي لنا.

وقد أعجب المتنبّي أيضا بأبي الفتح، وذكائه وحذقه، وإذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح، وكان يقول فيه: "**هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس**"[1].

وممّن أخذ عنهم ابن جنّيّ غير الفارسيّ:

1 ــ أبو بكر محمّد بن الحسن بن يعقوب العطّار المقرئ النحويّ المعروف بـ"ابن مِقسَم"، وكان راوية ثعلب، وروى ابن جنّي عنه أخبار ثعلب وعلمه.

2 ــ أبو العباس أحمد بن محمّد الموصليّ الشافعيّ المعروف بـ"الأخفش".

3 ــ أبو الفرج الأصفهانيّ صاحب "الأغاني".

4 ــ أبو عبد الله محمّد العسّاف العُقيلي التميميّ، وقد ذكره ابن جنّيّ باسم أبي عبد الله الشجريّ.

5 ــ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني.

6 ــ أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ.

وروى ابن جنّي كثيرا عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم.

وقد حضر حلقات ابن جني عدد من طلاب العربية وعلمائها، أبرزهم:

1 ــ الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الشاعر والأديب.

2 ــ أبو القاسم محمد بن ثابت الثمانيني، النحوي الضرير.

3 ــ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري.

4 ــ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السِّمْسِمِيّ.

5 ــ علي بن مزيد القاشاني.

ولابن جني آثار ومصنفات وكتب من صنعه تدل على علمه الغزير واطلاعه الواسع، بحيث أصبح مدرسة لمن عاصره أو جاء بعده، منها:

---

1 ــ يبدو أن ابن جني لم يبلغ في حياته من المكانة ما يستحقه، ولهذا قال المتنبي هذه المقولة.

1 ـــ الأراجيز.

2 ـــ تأييد تذكرة أبي علي.

3 ـــ التبصرة في العروض.

4 ـــ التذكرة الأصبهانية.

5 ـــ التصريف الملوكي.

6 ـــ التعاقب أو "تعاقب العربية"، ألفه في أقسام البدل والمبدل منه والعوض والعوض منه.

7 ـــ تفسير أرجوزة أبي تمام.

8 ـــ تفسير أرجوزة أبي نواس

9 ـــ تفسير ديوان المتنبي الكبير.

10 ـــ تفسير العلويات، هي قصائد للشريف الرضي.

11 ـــ تفسير معاني ديوان المتنبي، وهو شرح ديوان المتنبي الصغير.

12 ـــ التلقين في النحو.

13 ـــ تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب.

14 ـــ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري، أو "ديوان هذيل".

15 ـــ التنبيه، وهو شرح لديوان الحماسة.

16 ـــ تهذيب تذكرة أبي علي.

17 ـــ الخصائص، ألفه لبهاء الدولة البويهي، وهو في أصول النحو[1]، وفيه آراء سديدة تمتّ إلى علم اللغات العام، ولا تقتصر على العربية وحدها.

18 ـــ الخطريات، أو "الخاطرات".

19 ـــ الخطيب، ويبدو أنه جعله للخطب المنبرية.

20 ـــ الدمشقيّات.

21 ـــ ذو القد، أو "ذي القد".

22 ـــ الزجر.

1 ـــ "أصول النحو" مرادف لقولنا " فقه اللغة "، فالكتاب يبحث في أصول علم العربية.

23 ــ سرّ صناعة الإعراب، وهذا العنوان لا يدلّ على موضوع الكتاب، فهو في الواقع دراسة صوتية لحروف المعجم من حيث المخارج والصفات الصوتية وما يعرض لها من عوارض صوتية كالقلب والإبدال.

24 ــ شرح الإبدال ليعقوب بن السكيت.

25 ــ شرح الإيضاح لأبي علي.

26 ــ شرح الفصيح لثعلب.

27 ــ شرح الكافي في القوافي للأخفش.

28 ــ شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها.

29 ــ شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت.

30 ــ شواذ القرآن.

31 ــ العروض أو " مختصر العروض ".

32 ــ عقود اللمع.

33 ــ عقود الهمز وخواص أمثلة الفعل.

34 ــ علل التثنية.

35 ــ الفائق.

36 ــ الفرق.

37 ــ الفصل بين الكلام الخاص والعام.

38 ــ رسالة في الأصوات ومقادير المدات، كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري.

39 ــ رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء.

40 ــ اللمع في العربية، جمعه من كلام شيخه الفارسي.

41 ــ ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود.

42 ــ المبهج في أسماء شعراء الحماسة.

43 ــ المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية.

44 ــ المحاسن في العربية.

45 ــ المحتسب في شواذ القراءات.

46 ــ المختارات.

47 ــ مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها.

48 ــ مختصر العروض والقوافي.

49 ــ المذكرات، وقد كتبها ابن جني عن ثعلب.

50 ــ المذكر والمؤنث.

51 ــ المسائل الواسطية، أملاها على علماء النحو بواسط.

52 ــ مسألتان عن كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن الشيباني.

53 ــ المعاني المجردة.

54 ــ المُعْرِب في شرح قوافي أبي الحسن الأخفش، ولعله "شرح الكافي في القوافي" الذي سبق ذكره.

55 ــ المفيد في النحو.

56 ــ المقتضب في كلام العرب، وهو في الفعل الثلاثي المعتل العين من اسم المفعول خاصة.

57 ــ مقدمات أبواب التصريف.

58 ــ المقصور والممدود.

59 ــ المنتصف في النحو.

60 ــ المنصف، شرح فيه كتاب "التصريف" للمازني.

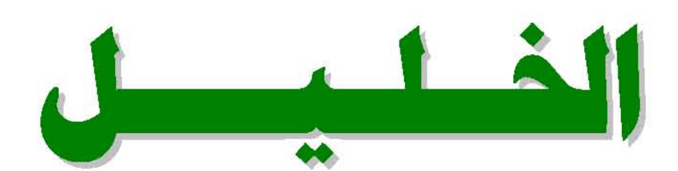
61 ــ المهذب في القراءات.

62 ــ النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته.

63 ــ النوادر الممتعة.

64 ــ الوقف والابتداء، ويبدو أنه في أحكام الوقف والابتداء النحوية، وليس في أحوال الوقف والابتداء القرآنية، كما يشتهر في هذان الاسمان.

وكانت وفاته ببغداد في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ــ 392 هـ ــ.



## (عبقـري اللغة، وسيــد أهـل الأدب)

## "من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك، فلينظر إلى الخليل بن أحمد"

**سفيان الثوري**

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد عمرو بن تميم، أصله من الأزد[1] من فراهيـــد[2]، لـــذلك أطلق عليه "الفراهيدي"، ولد سنة 100هــ، عاش بالبصـــرة، وكـــان أبـــوه أوّل مـــن ســـمي بـــ"أحمد" في الإسلام.

درس الفقه واللغة على أبي أيوب السجستاني، ورأى الفرزدق في صباه، كما تلقـــى عاصـــم الأحول، والعوام بن حوشب، وذهب في شبابه إلى بلاد الروم مجاهدا للدفاع عن ثغور الإسلام.

---

1 ــ الأزد: من كبريات قبائل العرب، تفرعت إلى نحو عشرين قبيلة، هجروا اليمن بسبب تصدع سد مـــأرب، ومـــنهم ســـتة أرهاط: 1 ــ ثعلبة العنقاء، ومنهم الأوس والخزرج "الأنصار"، 2 ــ حارثة بن عمرو، هم خزاعة، 3 ــ عمران بن عـــامر، ذهبوا إلى عمان، وإليهم ينتسب الخليل، 4 ــ أزد شنوؤة، نزلوا تهامة، 5 ــ جفنة بن عمرو، وهم الغساسنة، 6 ــ لخم، وهـــم المناذرة.

2 ــ فراهيد: حي من اليمن من الأزد، والنسبة: فراهيدي، وقيل: فرهودي.

أحبّ علماء العربية والنحو، وأمضى ثلاث سنوات يجلس إليهم فيسمع منهم ولا يشترك في الجدل والمناظرة، وعاصر شيخ العربيّة أبا عمرو بن العلاء، وحضر مجلسه، وكان قد مضى على أبي عمرو أكثر من خمسين سنة يدرّس اللغة، وقد أغراه بعض أصحابه أن يجادله وينتصر عليه، فيتحدّث عنه الناس ويرتفع اسمه، ولكنّه رفض ذلك، وآثر أن يظلّ منه بمنزلة التلميذ مهما بلغ به العلم.

كان يكثر الخروج إلى البوادي، ويسمع الأعراب الفصحاء، وكان شاعرا مقلاًّ، محبًّا للوحدة، راغبًا في الصحراء، يخرج من المدينة إليها، حيث ينفرد بنفسه، ولم يلبث أن انقطع عن الناس كلّيّة، يخرج في الصباح إلى الصحراء فلا يعود إلا في الغسق، وهو في خلال ذلك يدوّن شيئا في صحيفة معه.

عرف بالذكاء البالغ والقدرة على استخراج الأصول من الفروع الدقيقة، ويروى في ذلك أنّ رجلا مات وعنده دواء لظلمة العين، ينتفع به، فلمّا افتقر الناس إلى ذلك الدواء جاءوا الخليل.

فقال الخليل: أله نسخة معروفة؟

قالوا: لا.

قال: فهل آنية كان يعمل فيها؟

قالوا: نعم.

قال: جيئوني بها.

فجعل يشمّ الإناء ويخرج نوعًا، حتّى أخرج الأخلاط جميعا، وأخذ يتعرّف أقدارها، إلى أن اهتدى إلى ذلك، ثمّ وجدت النسخة في كتب الرجل، فوجدت الأخلاط كما اهتدى إليها[1].

وهو أوّل من اكتشف "**سرّ الموسيقى**" وأصلها، وقصّة ذلك أنّه كان يسير في السوق فسمع أصوات المطارق على الطسوت، هنالك اكتشف ذلك[2].

---

1 ــ قال سفيان الثوري عن الخليل: من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك، فلينظر إلى الخليل بن أحمد.

2 ــ قال الخليل: إن هناك ثلاث نقرات: الأولى: دقة وسكون "تن"، الثانية: دقتان وسكون "تتن"، الثالثة: ثلاث دقات وسكون "تتتن"، وقال: إن هذه النقرات إذا تتابعت وتداخلت كونت الموسيقى، وإن اختلاف تداخلها وتتابعها هو الذي يولد اختلاف النغمات، ومضى يتصل بأهل الغناء وأستاذهم "أبو رافع"، ومضى يعيش في ألحانهم، ويغشى مجالسهم ومعه لوح يكتب فيه رموزا لا يفهمها أحد سواه، ولم يلبث أن قال كلمته الخالدة: "السكون في الشعر هو السكون في الموسيقى".

ولم يقف عند هذا، بل قاده ذلك[1] إلى وضع علم العروض[2]، فهو أوّل من استخرج هذا العلم الذي حطم به نظرية القائلين بأن النظم العربي لا ضابط له[3]، وقد حصره في خمسة دوائر، استخرج منها خمسة عشر بحرا، زاد عليها الأخفش واحدا.

وكان في خلال تأمّلاته يعكف في منزله على بئر، مخفيا رأسه في فوهته، ويخرج أقوالا لا معنى لها يكررها، فلما سئل في ذلك قال: إن مقاطع الشعر تظهر واضحة في الصدى الذي يحدثه البئر، ثم رجع إلى أشعار العرب، فأخذ يقطعها، معتبرا الحرف الساكن آخر المقطع، وقابل بين المقاطع، وانتهى بوضع أصول الشعر والنظم، فلما أتم بحثه قصد المسجد الجامع وعرضه على الناس، فانهالوا عليه لتعلمه، فوقف نفسه لإفهامه للناس.

وهو من أوجد علم المعجمات اللغوية على طريقة لم يسبق إليها[4]، وقد جسّد ذلك في كتابه "**العين**"[5].

---

1 ــ الرواة مختلفون بشأن الباعث الذي دعا الخليل إلى التفكير في علم العروض ووضع قواعده: فقيل: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علما لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه، ففتح عليه بعلم العروض، وقيل: إن الدافع هو إشفاقه من اتجاه بعض شعراء عصره إلى نظم الشعر على أوزان لم يعرفها العرب ولم تسمع عنهم، ولهذا وضعه، وقيل: إن الدافع هو اكتشافه سر الموسيقى ..

2 ــ اختلفت الآراء بالنسبة إلى سبب تسمية هذا العلم بالعروض: فقيل: إن من معاني العروض " مكة "، لاعتراضها وسط البلاد، ومن ثم أطلق الخليل على علم ميزان الشعر الذي أوجده اسم المكان الذي ألهم فيه قواعده وأصوله، وقيل: إنه سمي عروضا باسم المكان الذي كان يقيم فيه واضعه، وذكر صاحب اللسان أنه سمي عروضا لأن الشعر يعرض عليه، أي: يوزن بواسطته.

3 ــ لا ينبغي أن يفهم من وضع الخليل لعلم العروض أن العرب لم تكن تعرف أوزان الشعر من قبل، فالواقع أنهم كانوا قبل وضع علم العروض على علم بأوزان الشعر العربي وبحوره على تباينها، وإن لم تكن تعرفها بالأسماء التي وضعها الخليل فيما بعد.

4 ــ قال الليث بن المظفر: كنت أسير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوما: لو أن إنسانا قصد وألف حروف ألف، وباء، وتاء، وثاء، على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه بتة، قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وإنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه، قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي، ولا أقف على ما يصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياما، ثم اعتلّ، وحججت، فما زلت مشفقا عليه، وخشيت أن يموت في علته، فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج، وسرت إليه، فإذا هو قد ألّف الحروف كلّها على ما في صدر هذا الكتاب، فكان يملي عليّ ما يحفظ، وما شكّ فيه يقول لي: سل عنه، فإذا صحّ فأثبته، إلى أن عملت الكتاب.

5 ــ سمي الكتاب باسم أول حرف بدئ به وهو حرف العين، هو أول معجم عربي، رتبت الكلمات فيه على حسب مخارج الحروف من الفم، فيبتدئ بحروف الحلق، ويختتم بحروف الشفتين، وهذه الحروف هي:

العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الصاد، الضاد، السين، الزاء، الطاء، الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء، الزاي، اللام، النون، الباء، الفاء، الميم، الواو، الألف، الياء. ........................................................=

وهو أوّل من علّل أسباب النّحو وأدخل فيه القياس، ولم يكن قبل ذلك علما له أصول وقواعد ـ ما عدا جملا قصيرة وضعها أبو الأسود الدؤلي ـ.

وهو أوّل من وضع الشكل المستعمل الآن في ضبط الحروف، بعد أن وضع أبو الأسود الدّؤلي النّقاط أعلى الحروف، أو أسفل منها، أو عن يمينها أو عن شمالها.

ولما أذاع الخليل طريقته استقبلها الناس بحذر، وقالوا: هذا خروج عما ألف الناس، ولكنه دافع عنها حتى أقنع الكثير من مخالفيه، وكانوا قد خافوا على النص القرآني أن يتغير بهذه الطريقة.

بقي الخليل بالبصرة طول حياته متزهّدا متعفّفا، منقطعا إلى العلم، لا يقبل العطاء، ولا يريد أن يكون خادما للملوك والأمراء، حتى إنه رفض دعوة أمير الأهواز وفارس، الأمير سليمان بن حبيب المهلبي، الذي بعث إليه بهدية في مائة ألف درهم، يدعوه إلى أن يقدم إليه فيلازمه وينادمه ويؤدب أولاده، وقال لرسول الأمير -ولم يكن في بيته ثمن كسرة من الخبز-: "أرأيت هذه الكسرة من الخبز، إنها زادي الوحيد، ولكنها كافية لسد رمقي، ما دام عندي منها فلست بحاجة إلى سليمان، أمّا هذه الدراهم الكثيرة فعند الأمير من الشعراء من هم بحاجة إليها"، وكان لهذا التصرّف أثره البعيد في نفوس طلابه، وتحدّث به الناس في البصرة، ولم يكن ذلك غرضه، بل كان يرفض أن يبيع علمه وعزّته بالمال.

ومن تلاميذ الخليل: سيبويه[1]، والأصمعي، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والنضر بن شميل، والليث بن مظفر[2].

---

= ولكن كان استخراج الكلمة منه شاقا، إذ يذكر الكلمات ومقلوبها، ويبين المهمل منها والمستعمل، وقد أوجد هذا الكتاب عند العلماء فكرة عمل المعجمات المرتبة بترتيب الحروف، فجاء بعده ابن دريد ت 188 هـ فألف كتاب "جمهرة اللغة"، ورتبه على ترتيب حروف المعجم، فابتدأ بالألف ثم الباء ثم التاء، الخ، وأدرك عصره الأزهري فألف كتاب "التهذيب" على ترتيب الخليل، ثم وضع بعد ذلك في العصر العباسي الثاني "الصحاح" للجوهري، و"المحكم" لابن سيده، من العلماء الأندلسيين، وهذه هي أصول معجمات اللغة، وما سواها إنما هو جمع لها أو اختصار منها.

1 ـ كان سيبويه يكتب عن الخليل كل ما يقوله، ويكثر التردد على مجالسه، حتى أحبّه، وقال له عبارته الخالدة: " مرحبا بزائر لا يمل "، وقد وجد الخليل في سيبويه ما لم يجد في تلاميذه، حتى قيل: إن الأمر بلغ بينهما إلى حد أن كانا يتكلمان فلا يفهم أحد ما يقولان.

2 ـ قال نصر بن علي: وبرز من أصحاب الخليل أربعة: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه، والنضر بن شميل، وعلي بن نصر الجهضمي، ومؤَرِّج السَّدوسي، وكان أبرعهم في النحو سيبويه، وغلب على النضر بن شميل اللغة، وعلى مؤرج الشعر واللغة، وعلى علي بن نصر الجهضمي الحديث.

وله من الكتب المصنفة:

1 ــ كتاب العين.

2 ــ كتاب النغم.

3 ــ كتاب العروض.

4 ــ كتاب الشواهد.

5 ــ كتاب النقط والشكل.

6 ــ كتاب الإيقاع.

توفي الخليل سنة 170 هــ.

وقصّة وفاته أنّه رأى جارية تخاصم بائعا وهي تطالبه بدراهم أخذها منها بمغالطتـــه إياهـــا، فأراد أن يقرب نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى البائع فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك، فاصطدم رأسه بالسارية الضخمة، فوقع وأحدث صوتا شديدا، وانقلب على ظهره وتدحرج إلى الأرض مضرّجا بالدماء.




## (واضع علم النحو)

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي، نسبة إلى الدؤل بن بكر، بطن من كنانة، ولد في أيام النبوة، وأسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يـره، فهـو معـدود من التابعين، وروايته عن رسول الله مرسلة، وكذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قرأ القرآن على عثمان وعليّ، وحدّث عن عمر، وعلي، وأبي بن كعب، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، والزبير بن العوام، وطائفة، حتّى استحقّ أن يكون علاّمة فاضلا.

كان أبو الأسود مقدّما في طبقات الناس، معدودا مـن الفقهـاء، والشـعراء، والمحـدّثين، والأشراف، والفرسان، والأمراء، والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب.

سكن البصرة في خلافة عمر بن الخطاب، وولي إمارتها وقضاءها في أيام علي بـن أبـي طالب، ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي.

قرأ عليه ولده أبو حرب، ونصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر، وحدث عنه ابنه ويحيى بن يعمر وابن بريدة وعمر مولى غفرة، وآخرون.

والدؤلي هو أول من تكلم في النحو، وكان الباعث له على ذلك تغيّر لغة النـاس، ودخـول اللحن في كلام بعضهم.

فقد نقل عنه أن ابنته رفعت وجهها إلى السماء وتأملت بهجة النجوم وحسنها، ثم قالت: ما أحسنُ السماءِ؟ -على صورة الاستفهام- فقال لها: يا بنية نجومُها، فقالت: إنما أردت التعجب، فقال لها: قولي: ما أحسنَ السماءَ!، وافتحي فاكِ.

وسمع من قارئ يقرأ قوله تعالى: **{أن الله بريء من المشركين ورسولِه}**، -بجر "رسوله"- فقال أعرابي: إن كان الله بريئ من رسوله فأنا بريئ كذلك، ففزع من ذلك، فأخبر عليا رضي الله عنه، فأمره بوضع شيء في النحو، بعد أن وضع له تقسيم "الكلمة"، وأبواب "إن وأخواتها"، والإضافة، والإمالة، والتعجب، والاستفهام، وغيرها، وقال لأبي الأسود: انح هذا النحو، فأراه أبو الأسود وما وضع، فقال علي: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثم سمي النحو نحوا.

وكان لا يخرج شيئا أخذه عن علي كرم الله وجهه إلى أحد.

ولما أراد أن ينشر علم النحو ذهب إلى زياد[1] فقال: أرى العرب قد خالطت العجم، فتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون، فقال: ادع لي أبا الأسود، فدعي، فقال: ضع للناس الذي نهيتك عنه.

أخذ عن الدؤلي النحو: عنبسة الفيل، وأخذ عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأخذه عنه عيسى بن عمر، وأخذه عنه الخليل بن أحمد، وأخذه عنه سيبويه، وأخذه عنه سعيد الأخفش ويعقوب الحضرمي.

يقال إنه أول من نقط المصحف، فقد طلب من زياد أن يمده بكاتب، فلما أمده به، قال أبو الأسود للكاتب: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطه أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممت فمي فانقط نقطه بين يدي الحرف، وإن كسرت فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين.

شهد أبو الأسود صفين مع علي، ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ في إكرامه.

توفي بالبصرة بالطاعون الجارف الذي حدث عام 69هـ، وعاش خمسا وثمانين سنة.

---

1 ـ هو زياد بن أبيه، أمير من القادة الفاتحين، من كبار رجال الدولة الأمويين، تولى إمارة الكوفة بعد وفاة المغيرة بن شعبة، ومنها تفرد بحكم النصف الشرقي لأرض المسلمين، حتى توفي بالطاعون.



## (نحوي زمانه)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجّاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب.

سمّي بـ"**الزجاج**" لأنّه كان يخرط الزجاج، وكانت تلك هي مهنته قبل إلى يتجه إلى طلب العلم.

يعتبر الزجّاج من أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه، ثم ارتفع الزجاج وصار مع المعتضد[1] يعلم أولاده، ومع عبيد الله بن سليمان أولا.

وقصة اتصاله بالمبرد هي أنه اشتهى النحو، فلزم المبرد لتعلّمه، وكان لا يعلّم مجانا، ولا يعلّم بأجرة إلا على قدرها، فقال له: أي شيء صناعتك؟ قال له الزجاج: أخرط الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم، أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أعطيك كل يوم، وأشرط لك أني أعطيك إياه أبدا إلى أن يفرق الموت بيننا، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه.

---

1 ـ هو المعتضد بالله أحمد بن طلحة، أبو العباس، الخليفة العباسي السادس عشر، ولد في بغداد وتوفي بها، ولما تولى الخلافة أقام العدل وأصلح أمور بيت المال.

فلزمه، وكان يخدمه في أموره مع ذلك، ويعطيه الدرهم، فينصحه في العلم حتى استقل.

فجاءه كتاب بعض بني مارمة من الصراة يلتمسون معلما نحويا لأولادهم، فقال الزجاج للمبرد: أسمني لهم، فأسلمه، فخرج، فكان يعلمهم وينفذ إلى المبرد كل شهر ثلاثين درهما، ويتفقده بعد ذلك بما يقدر عليه.

ومضت مدة على ذلك، فطلب عبيد الله بن سليمان من المبرد مؤدبا لابنه القاسم[1]، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلا زجاجا بالصراة مع بني مارمة، فكتب إليهم عبيد الله: فطلب منهم أن يتنازلوا عن الزجاج، فتركوه له، فأحضروه، وأسلموا القاسم إليه، فكان ذلك سبب غناه.

وكان الزجاج يعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم إلى أن مات، ولا يخليه من التفقد معه بحسب طاقته.

قال الزجاج: كنت أؤدب القاسم بن عبيد الله بن سليمان، وأقول له: إن بلغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببت، فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيتي.

فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة، وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمه، فدعتني نفسي إلى أن أذكّره بالوعد، ثم هبته.

فلمّا كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر، فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله، وإنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه، فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث، فاسمح لي بأخذه متفرقا، فقلت: يا سيدي افعل، فقال اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار، واستجعل عليها، إلى أن يحصل لك مال النذر.

قال: ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها، وعرضت عليه شيئا عظيما، فحصلت عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مديدة.

فقال لي بعد شهور: يا أبا إسحاق حصل مال النذر؟ فقلت: لا، فسكت، وكنت أعرض فيسألني في كل شهر أو نحو: هل حصل المال؟ فأقول: لا، خوفا من انقطاع الكسب، إلى أن حصل عندي ضعف ذلك المال، وسألني يوما فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال: فرجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك.

---

1 ــ هو وزير عباسي من الكتاب الشعراء، خلف أباه في وزارة المعتضد.

قال: ثم أخذ الدواة ووقع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة، فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئا، ولم أدر كيف أقع منه.

فلما كان من غد جئته فأومأ إلي: هات ما معك، يستدعي مني الرقاع على الرسم، فقلت: ما أخذت من أحد رقعة، لأن النذر قد وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير، فقال: يا سبحان الله، أتراني كنت أقطع عنك شيئا قد صار لك عادة، وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم، وجاه، وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب انقطاعه، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، أو تغير رتبتك؟ أعرض علي على رسمك وخذ بلا حساب، فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع، فكنت أعرض عليه كل يوم شيئا إلى أن مات.

أما سبب اتصاله بالمعتضد هو أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب "جامع النطق" الذي عمله "محبرة[1] النديم"، وكان حسن الأدب، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداول، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول.

فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه، فقال: لست أعرف هذا، فإن أردتم كتاب "العين" فموجود، ولا رواية له.

وكتب إلى المبرد أن يفسرها، فأجابهم بأنه كتاب طويل، يحتاج إلى شغل وتعب، وأنه قد أسن وضعف عن ذلك، فان دفعتموها إلى صاحبي إبراهيم بن السرى ـ الزجاج ـ رجوت أن يفي بذلك.

فتغافل القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج، حتى ألحّ عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد، وأنه أحال على الزجاج بذلك، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم.

فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة ولا نظر في جدول، فكتبه وجلّده وحمله الوزير إلى المعتضد، فاستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وصار له بهذا السبب منزلة عظيمة عنده.

كان الزجاج حسن الأدب، وإذا صدر منه خطأ بادر إلى الاعتذار، ومثال ذلك ما جرى بينه وبين المعروف بـ"مسينة" ـ وكان من أهل العلم ـ شر، فاتصل ونسجه إبليس وأحكمه، حتى خرج الزجاج إلى حد الشتم، فكتب إليه مسينة:

أبى الزجاج إلا شتم عرضي لينفعه فآثمه وضره
وأقسم صادقا ما كان حر ليطلق لفظه في شتم حره

1 ـ اسم "محبرة": محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى: أبا جعفر، واسم "أبي عباد": جابر بن يزيد بن الصباح العسكري.

ولو أني كررت لفر مني ولكن للمنون علي كره

فأصبح قد وقاه الله شرى ليوم لا وقاه الله شره

فلما اتصل هذا بالزجاج قصده راجلا حتى اعتذر إليه وسأله الصفح.

وكان رجلا حكيما يستفيد مما يقع له من أمور ليتفوه بالحكمة، فقد كان مارا بشارع راكبا، فبادر بعض الصبيان فأقلب عليه ماء، فأنشأ يقول وهو ينفض رداءه من الماء:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

روى عن الزجاج علي بن عبد الله بن المغيرة وغيره، وأخذ عنه العربية أبو علي الفارسي وجماعة.

له من الكتب:

1 ـ ما فسّره من جامع النطق.

2 ـ معاني القرآن.

3 ـ الاشتقاق.

4 ـ القوافي.

5 ـ العروض.

6 ـ الفرق.

7 ـ خَلْق الإنسان.

8 ـ خَلْق الفرس.

9 ـ مختصر النحو.

10 ـ فعلت وافتعلت.

11 ـ ما ينصرف وما لا ينصرف.

12 ـ شرح أبيات سيبويه.

13 ـ النوادر.

14 ـ الأنواء.

15 ـ الأمالي.

توفي الزجاج يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشر وثلاثمائة ـ 310 هـ ـ.

قال أبو علي الفارسي: دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد إليه خادم وسارّه بشيء استبشر له، ثم تقدّم إلى شيخنا أبي إسحاق بالملازمة إلى أن يعود، ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك، لأنس كان بينه وبينه، فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لإحدى المغنيات فسمتها أن تبيعني إياها، وامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من نصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلمّا وردت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشرا لافتضاضها، فوجدتها قد حاضت، فكان منّي ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:

فـــارس مـــاض بحربتـــه حـــاذق بـــالطعن فـــي الظلـــم
رام أن يـــدمي فريســـته فاتقتـــه مـــن دم بـــدم



## (النحوي اللغوي)

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، النحوي اللغوي، ولد ونشأ في نهاوند، ورحل إلى بغداد حيث درس على أبي إسحاق إبراهيم بن السَّريّ الزجاج، ولشدة ملازمته له عرف به ونسب إليه، فاشتهر بلقب "**الزجاجي**"، ودرس كذلك على أبي بكر بن السرّاج، وعلي بن سليمان الأخفش "الصغير"، وهؤلاء العلماء الثلاثة هم من تلاميذ المبرّد.

ودرس كذلك على أبي جعفر محمد بن رستم الطبري، غلام أبي عثمان المازني.

ومن علماء الكوفة الذين أخذ عنهم أبو الحسن بن كيسان، وأبو بكر بن شقير[1]، وأبو بكر بن الخياط.

وقد اختار الزجاجي الدراسة على هؤلاء لأنهم قدوة أعلام في علم الكوفة، وكان أوّل اعتمادهم عليه، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين.

ولهذا يعتبر الزجاجي من علماء النحو الذين خلطوا بين مذهبي البصرة والكوفة.

ثم انتقل إلى الشام، فأقام في حلب مدة، ثم استقر في دمشق حيث صنّف وعلّم.

وتخرج على يديه عدد من التلاميذ أكثرهم دمشقيون.

---

1 ــ هو عبد الله بن محمد بن شقير النحوي، وهو من العلماء الذين خلطوا بين مذهبي البصرة والكوفة، وله من الكتب: 1 ــ مختصر النحو، 2 ــ المقصور والممدود، 3 ــ المذكّر والمؤنّث.

وله من الكتب:

1 ــ الجمل في النحو[1]: وهو أهم كتب الزجاجي وأشهرها، صنفه بمكة، وكان إذا فرغ الباب طاف به أسبوعاً ودعا بالمغفرة.

وهو كتاب نافع مفيد، من الكتب المباركة، لم يشتغل به أحد إلا انتفع به.

والكتاب مختصر، ولكنه يحيط في كل مسألة بأطرافها، وهو إلى ذلك يمتاز بوضوح الفكرة، وسلاسة العبارة.

وقد ألف الزجاجي هذا الكتاب بمكة المكرمة، وكان إذا فرغ من باب طـاف بـه أسـبوعا ــ أي سبعا ــ، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يغفر له، وأن ينفع به قارئـه، فلهـذا انتفـع بـه الطلبة.

وله شروح أحسنها شرح الأستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ت 521 هـ، سماه "**إصلاح الخلل الواقع في الجمل**".

2 ــ الإيضاح في علل النحو: والكتاب ــ كما يؤخـذ مـن اسـمه ــ فـي علـل النحـو، لا قواعده، فقد خصصه لذكر أسرار النحو، وكشف المستغلق من لطائفه وغوامضه، ويدل هذا الكتاب على بداية تأثر النحاة بالتعليل المنطقي تأثرا واضحا.

3 ــ القوافي.

4 ــ شرح خطبة أدب الكاتب.

5 ــ الكافي.

6 ــ شرح كتاب الألف واللام للمازني.

7 ــ اللامات.

8 ــ الأمالي، وهي صغرى ووسطى وكبرى، وتظهر في هذه الأمـالي عنايـة الزجـاجي باللغة.

9 ــ مجالس العلماء.

توفى الزجاجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ــ 337 هـ ــ[2].

---

1 ــ طبع بالجزائر سنة 1926 م بتحقيق محمد بن أبي شنب.

2 ــ هذا ما قالـه الزبيـدي، وصـححه ابـن خلكـان، وقيـل: تـوفي سـنة 339 هـ، وجعـل القفطـي وفاتـه سـنة 340 هـ، أما مكان وفاته فقيل: في دمشق، وقيل: في طبرية.




## (إمــام النــحــو)

## "ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله"

إمام النحو أبو بكر محمد بن السري، البغدادي، المعروف بابن السَّرَّاج[1]، انتهى إليه علم اللسان، وكان يلثغ في الراء فيجعلها غينا.

أخذ النحو عن أبي العباس المبرّد، وكان من أصغر تلاميذه سنا، وكان ذكيا وفطنا، وكان المبرّد يميل إليه ويقرّبه ويشرح له، ويجتمع معه في الخلوات والدعوات، وتأنس به، وقد درّسه "الكتاب" لسيبويه.

ولكن بعد موت المبرّد اشتغل ابن السراج بالمنطق والموسيقى، وترك علم النحو لفترة.

---

1 ــ السرّاج: بفتح السين والراء المشددة وبعد الألف جيم، هذه النسبة إلى عمل السروج.

وحضر يوما عند الزجّاج، بعد ما سلّم عليه، فسأل رجل الزجّاج عن مسألة، فقال لابن السراج: أجبه يا أبا بكر، فأجابه فأخطأ، فانتهره الزجاج وقال: والله لو كنت في منزلي ضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل هذا، وقد كنّا نشبهك في الذكاء والفطنة بابن الحسن بن رجاء، وأنت تخطئ في مثل هذا، فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق وأدبتني، وأنا تارك ما درست مذ قرأت هذا الكتاب، يعني كتاب سيبويه، لأني تشاغلت عنه بالمنطق والموسيقى، والآن أنا أعاود، فعاود وصنّف ما صنّف، وانتهت إليه الرياسة بعد موت الزجاج، وعلّم في بغداد حتى توفي فيها.

وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة.

ومن تلاميذ ابن السراج:

أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجّاجي، وأبو سعيد السيرافي، وعلي بن عيسى الرمّاني، وأبو علي الفارسي.

وله من الكتب:

1 ـ الأصول الكبير، وهو من أجود الكتب المصنّفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه.

وقد قيل: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله.

قال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: جرى بحضرة ابن السراج ذكر كتابه في "الأصول" الذي صنفه، فقال قائل: هو أحسن من كتاب "المقتضب"[1]، فقال أبو بكر: لا تقل هكذا، وأنشد[2]:

ولو قبْلَ مَبْكَاهَا بكَيْتُ صَبَابَةً ... بِسُعْدَى، شَفَيْتُ النّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِيَ الْبُكَا ... بُكَاهَا فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

2 ـ جمل الأصول، وهو كتاب "الأصول الصغير".

3 ـ الموجز في النحو، وهو صغير، وقد أملاه على تلاميذه إملاء.

4 ـ الاشتقاق.

5 ـ شرح كتاب سيبويه.

---

1 ـ كتاب " المقتضب " لأبي العباس المبرّد، شيخ ابن السراج.

2 ـ الشعر لعدي بن الرّقاع العاملي.

6 ـــ احتجاج القرّاء.

7 ـــ الشعر والشعراء.

8 ـــ الجمل.

9 ـــ الرياح والهواء والنار.

10 ـــ المواصلات في الأخبار والمذكرات.

11 ـــ الخط.

12 ـــ الهجاء.

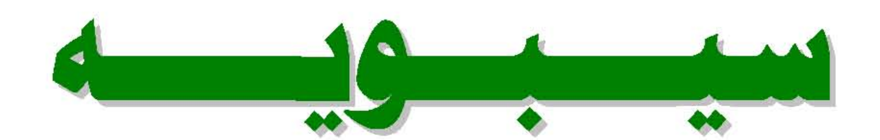
13 ـــ النَّقط والشكل.

14 ـــ العَروض.

توفي ابن السراج في بغداد، في خلافة المقتدر، وهو شاب صحيح[1]، في سنة ست عشـــرة وثلاثمائـــة ـــ 316 هـــ ـــ.

---

1 ـــ يقال لمن مات وهو شاب صحيح: " اعتبطه الموت، وأعبطه ".



## (إمام النّحو وحجّة العرب)

هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمر بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدَد، كنيته أبو بشر، وقيل: أبو الحسن، كان من أهل فارس، ومنشؤه بالبصرة.

و"**سيبويه**" ـ بالفارسية ـ: رائحة التفاح، قيل: سمي بذلك لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، وكان شابا جميلا،بديع الحسن، نظيفا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أدب، مع حداثة سنه.

طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع، وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير "الكتاب"، وهو أشهر من نار على علم، وقد سمى الناس كتابه: "**قرآن النحو**"، ولم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به أحد بعده[1].

وقصة طلبه علم النحو، أنه كان يستملي على حماد بن سلمة، فقال حماد يوما: قال رسول الله صلى عليه وسلم: "**ليس أحد من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه، ليس أبا الدّرداء**".

فقال سيبويه: "ليس أبو الدّرداء".

1 ـ كان المبرد إذا أراد إنسان أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول لـه: ركبت البحر؟ ـ تعظيما لـه، واستعظاما لما فيه ـ، وقال أبو عثمان المازني: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح.

فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، "**ليس أبا الدّرداء**"[1].

فقال سيبويه: لا جرم لأطلبن علما لا يلحّنني معه أحد، فطلب النحو.

أخذ سيبويه شيئا من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن حبيب، ولزم الخليل[2]، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، الأخفش الكبير، وعن أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري[3].

وممن أخذ عن سيبويه علم النحو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط، وهو أوّل من شرح "الكتاب"، وبه انتشر في بقاع الأرض، وأبو علي محمد بن المستنير المعروف بـ"**قُطرب**"[4].

لمّا قدم سيبويه على البرامكة، عزم يحيى بن خالد البرمكي على الجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة، فجعل لذلك يوما.

فحضر سيبويه في مجلس يحيى بن خالد، وعنده ولداه جعفر والفضل، ومن حضر بحضورهم من الأكابر، فأقبل خلف الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائي، فسأله عن مسألة، فأجابه سيبويه، فقال له الأحمر: أخطأت.

ثم سأله عن ثانية، فأجابه فيها، فقال له أخطأت: ثم سأله عن ثالثة، فأجابه فيها، فقال له: أخطأت.

فقال له سيبويه: هذا سوء أدب.

فأقبل عليه الفراء وقال: إن في هذا الرجل عجلة وحدة، فسأله، فقدّر فخطأه، فقال: أعد النظر، فقدّر، فخطأه، فقال: أعد النظر، فقدر فخطأه، فلما كثر ذلك عليه قال: لا أكلمكما، أو يحضر صاحبكما حتى أناظره.

فلمّا حضر الكسائي: قال لسيبويه: تسألني أو أسألك؟

فقال له سيبويه: سل أنت.

---

1 ـــ رفع سيبويه "أبو" توهما أنها اسم "ليس"، ولكن "ليس" هنا أداة استثناء، فاسمها مستتر وجوبا، و"أبا" خبرها.

2 ـــ إذا قال سيبويه في كتابه: "سألته"، أو قال: "قال"، من غير أن يذكر قائله، فهو الخليل بن أحمد الفراهيدي.

3 ـــ إذا قال سيبويه: حدثني من أثق به، فإنما يعني أبا زيد الأنصاري.

4 ـــ القطرب: دويبة تدب لا تفتر، ويقال: إن سيبويه لقبه بذلك لمباكرته إياه في الأسحار، قال له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل.

فأقبل عليه الكسائي، فقال: كيف تقول: "**كنت أظن أنّ[1] العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور فإذا[2] هو هي، أو: فإذا هو إياها؟**"[3].

فقال سيبويه: "**فإذا هو هي**"، ولا يجوز النصب.

فقال الكسائي: الرفع والنصب جائزان.

فقال سيبويه: الرفع صواب، والنصب لحن، فعلت أصواتهما بهذا.

فقال يحيى: أنتما عالمان، ليس فوقكما أحد يستفتى، ولم يبلغ من هذا العلم مبلغكما أحد نشرف به على الصواب من قولكما، فما الذي يقطع ما بينكما؟

فقال الكسائي: العرب الفصحاء المقيمون على باب أمير المؤمنين الذي نرتضى فصاحتهم، قد سمع منهم أهل البلدين، يحضرهم فنسألهم عما اختلفنا فيه، فان عرفوا النصب، علمت أن الحق معي، وإن لم يعرفوه، علمت أن الحق معه.

فحضر منهم خلق كثير، فوافقوا الكسائي، فاستكان سيبويه، وأطرق.

فقال الكسائي: أعز الله الوزير، إنه لم يقصدك من بلده إلا راجيا فضلك، ومؤملا معروفك، فأمر يحيى لسيبويه بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس، فأقام بها حتى مات، ولم يعد إلى البصرة[4].

---

1 ــ تختصّ "أنّ" من سائر أخواتها المشبّهة بالفعل، في أنّها تُؤوّل مع ما بعدها بمصدر يُعرب حسب موقعه في الجملة.

2 ــ تُعرب إذا الفجائيّة إمّا ظرف زمان مبنيّا على السكون في محل نصب مفعول فيه، وإمّا حرفاً مبنيّاً على السكون لا محل له من الإعراب، وهي تختصّ بالدخول على الجملة الاسميّة، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في ابتداء الكلام، وتلزمها الفاء الزائدة (أو الاستئنافية)، والاسم المرفوع بعدها يُعرب مبتدأ، نحو الآية: **{فألقاها فإذا هي حَيّةٌ تسعى}** طه: 20.

3 ــ اشتهرت هذه المسألة بــ"**المسألة الزنبورية**".

4 ــ يقال: إن العرب قد رشوا على ذلك، أو إنهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد، ويقال: إنهم إنما قالوا: القول قول الكسائي، ولم ينطقوا بالنصب، وإن سيبويه قال ليحيى: مرهم أن ينطقوا بذلك، فإن ألسنتهم لا تطوع به.

وحجة سيبويه وأنصاره من البصريين في المسألة: أن "هو" مبتدأ، و"هي" الخبر، فإذا قلنا "إياها" بدل "هي" لزم أن تكون حالا، وليس خبرا، لأنها من ضمائر المنصوب، لا المرفوع.

وحجة الكسائي وأنصاره من الكوفيين: من وجهين:

أحدهما: شهادة جماعة من العرب عند يحيى بن خالد البرمكي.

والثاني: أن التي للمفاجأة يجوز أن يرتفع ما بعدها بأنه مبتدأ وخبر، وأن ينتصب على إضمار "أجد"، وعلى ذلك جاءت الحكاية، ورد عليهم بأنه لا يصح نصب "إياها" بــ"أجد" لأنها تفتقر إلى مفعولين.

ولقد نظم الإمام الأديب أبو الحسن حازم بن محمد الأنصـــاري القرطـــاجني هـــذه الواقعـــة والمسألة في منظومته في النحو، فقال:

والعرب قد تحذف الأخبار بعـــد إذا ... إذا عَنَتْ فجأةً الأمـــرَ الـــذي دهمـــا

وربّمـــا نصـــبوا للحـــال بعـــد إذا ... وربما رفعوا مـــن بعـــدها ربمـــا[1]

فإن توالى ضميران اكتســـى بهمـــا ... وجهُ الحقيقة مـــن إشـــكاله غَممـــا[2]

لذاك أعيت علـــى الأفهـــام مســـألةٌ ... أهدت إلى سيبويه الحتف والغُممـــا[3]

قد كانت العقرب العوجـــاء أحســـبها ... قدما أشد من الزنبـــور وقـــع حُمـــا

وفي الجواب عليها هل إذا هو هـــي ... أو هل إذا هو إياهـــا قـــد اختصـــما

وخطّأ ابنُ زياد وابـــن حمـــزة فـــي ... ما قال فيها أبا بِشْـــر وقـــد ظَلَمـــا[4]

وغاظ عمرًا علـــيٌّ فـــي حكومتـــه ... يا ليته لم يكن فـــي أمـــره حكَمـــا[5]

كغيظ عمرو عليًّـــا فـــي حكومتـــه ... يا ليته لم يكن فـــي أمـــره حكَمـــا[6]

وفَجَـــعَ ابـــنُ زيـــاد كـــلَّ منتخـــب ... من أهله إذ غدا منه يفـــيض دمـــا[7]

كفجعة ابـــن زيـــاد كـــل منتخـــب ... من أهله إذ غدا منه يفـــيض دمـــا[8]

وأصـــبحت بعـــده الأنفـــاس باكيـــة ... في كل طرس كدمع سح وانســـجما

وليس يخلو امرؤ من حاســـد أضـــم ... لولا التنافس في الدنيا لمـــا أضـــما[9]

---

1 ـــ أي وربما نصبوا على الحال بعد أن رفعوا ما بعد إذا على الابتداء فيقولون فإذا زيد جالسا، و"ربمـــا" فـــي آخـــر البيـــت بالتخفيف توكيد لربما في أوله بالتشديد.

2 ـــ غمما ـــ بفتح الغين ـــ كناية عن الإشكال والخفاء.

3 ـــ غمما: ـــ بضم الغين ـــ جمع غمة.

4 ـــ ابن زياد في هذا البيت هو الفراء واسمه يحيى، وابن حمزة هو الكسائي واسمه علي، وأبو بشر هو سيبويه، وألف ظلمـــا للتثنية إن بنيته للفاعل، وللإطلاق إن بنيته للمفعول.

5 ـــ عمرو وعلي في هذا البيت هما سيبويه والكسائي.

6 ـــ عمرو وعلي في هذا البيت هما ابن العاص وابن أبي طالب رضي الله عنهما، حكما في البيت السابق اسم، وفي هذا البيت البيت فعل أو بالعكس.

7 ـــ زياد هنا هو والد الفراء.

8 ـــ زياد في هذا البيت هو ابن أبيه، وابنه المشار إليه هو ابن مرجانة، المرسل في قتلة الحسين.

9 ـــ أضم: كغضب وزنا ومعنى، وإعجام الضاد، والوصف منه أضم كفرح.

وأبرح الناس شجوا عـــالمٌ هُضِـــمَا[1]     والغبن في العلم أشجى محنة علمت

عاش سيبويه اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحـــو الأربعـــين، ومـــات ســـنة ثمـــانين ومائـــة ــ 180 هـــ ـــ، وهو أصح، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة.

1 ــ هضم: مبني للمفعول، أي: لم يوف حقه.



## (الـمحقّق في علم النحو)

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سـليمان، أبـو علـي، الفارسـي، النحـوي، ولـد بـ"فسا"[1] ــ إيران ــ، وقدم بغداد فاستوطنها.

أخذ عن ابن السراج والزجاج، وعلت منزلته في النحو، واشتهر ذكره في الآفاق، حتى قـال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه.

وكان محققا في علم النحو، فقد كان يرد الإجماع في بعض الأحيان، بناء على نتائج تحقيقه وتدقيقه في المسألة، فقد رد الإجماع الذي نقله الزجاج في اعتبار "أن" في قوله تعالى: **{وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون}**[2] بمعنى "لعل"، ورد الفارسي كان في محله[3].

---

1 ــ والنسبة إليها: فسوي.

2 ــ الأنعام ــ 109 ــ

3 ــ ما: استفهام في موضع رفع بالابتداء، ويشعركم: الخبر وهو يتعدى إلى مفعولين، أنها: يقرأ بالكسر ــ إنها ــ على الاستئناف والمفعول الثاني محذوف تقديره: وما يشعركم إيمانهم، ويقرأ بالفتح ــ أنها ــ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها أن "أن" بمعنى لعل، حكاه الخليل عن العرب، وعلى هذا يكون المفعول الثاني أيضا محذوفا، والثاني أن "لا" زائدة، فتكون "أن" وما عملت فيه في موضع المفعول الثاني، والثالث أن "أن" على بابها، و"لا" غير زائدة، والمعنى: وما يدريكم عدم إيمانهم، وهذا جواب لمن حكم عليهم بالكفر أبدا، ويئس من إيمانهم، والتقدير: لا يؤمنون بها، فحذف المفعول.

أوجه القراءات: 1 ــ ابن كثير: **{وما يشعرُكم إنها إذا جاءت لا يؤمنون}**، 2 ــ أبو عمرو: **{وما يشعرْكم إنها إذا جاءت لا يؤمنون}** مع اختلاس حركة الراء من **{يشعرْكم}**، 3 ــ نافع: **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا يومنون}**، 4 ــ عاصم: حفص **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون}** بالفتح، وحمزة **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا تؤمنون}** بالفتح، والكسائي **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون}** بالفتح، إذا جاءت لا تؤمنون، ابن عامر **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا تؤمنون}** بالفتح، أبو بكر بن عياش: **{وما يشعرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون}** أو **{وما يشعرُكم إنها إذا جاءت لا يؤمنون}**، 5 ــ ابن مسعود: **{وما يشعرُكم إذا جاءت لا يؤمنون}**.

ولكن أحيانا يذكر الإجماع في مسألة ما، والأمر خلاف ذلك، ومثاله: ما نقله من إجماع على دلالة الواو العاطفة على الجمع المطلق، حيث قال: "أجمع البصريون والكوفيون على أنها للجمع المطلق".

والمسألة مختلف فيها[1].

برع له غلمان حذاق، مثل عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي وغيرهما.

كان ملازما للسلطان عضد الدولة بن بويه، وكانت له منزلة عنده، حتى قال فيه: أنا غـــلام أبي علي النحوي الفسوي في النحو، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم.

روى عنه أنه كان مع عضد الدولة في الميدان، فسأله عضد الدولة عـــن المســـتثنى، بمـــاذا انتصب؟ فقال له أبو علي: انتصب لأن التقدير: استثنى زيدا، فقال له عضـــد الدولـــة: وهـــلا قدرت: امتنع، فرفعت زيدا؟ فقال له أبو علي: هذا الجواب الذي ذكرت لك ميداني، وإذا رجعنا ذكرت لك الجواب الصحيح إن شاء الله تعالى[2].

صنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، منها:

1 ــ الإيضاح في النحو، وهو كتاب مشهور وعليه شروح، ويحكى أنه صنفه لعضد الدولة.

---

1 ــ اختلف العلماء في الواو العاطفة على ماذا تدل ولهم في ذلك أقوال:

الأول: أنها تدل على مطلق الجمع، وهذا قول الجمهور من أئمة العربية والأصول والفقه ونص عليه سيبويه في بضعة عشـــر موضعا في كتابه.

القول الثاني: أنها للترتيب مطلقا، وهو قول بعض الكوفيين منهم ثعلب وابن درستويه حكاه عنهم جماعة من النحاة.

القول الثالث: أن الواو للجمع بقيد المعية، ويعزى هذا إلى بعض الحنفية، وبعضهم ينسب هذا القول إلى أبي يوسف ومحمد بـــن الحسن، وهو أيضا مذهب أحمد وبعض المالكية.

القول الرابع: أن الواو للترتيب، وهو مذهب الفراء فيما حكاه عنه كثيرون وبعضهم نقل عنه القول بالترتيـــب مطلقـــا كـــالقول الثاني.

2 ــ اعلم أنه اختلف مذهب الكوفيين في العامل في المستثنى النصب نحو "قام القوم إلا زيدا":

فذهب بعضهم إلى أن العامل فيه "إلا"، وإليه ذهب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وأبو إسحاق الزجاج من البصريين، وذلـــك لأن "إلا" قامت مقام أستثنى.

وذهب الفراء ومن تابعه من الكوفيين ــ وهو المشهور من مذهبهم ــ إلى أن إلا مركبة من "إنّ" و"لا" ثم خففت "إن" وأدغمـــت في "لا" فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارا بـــ"أن"، وعطفوا بها في النفي اعتبارا بـــ"لا".

وحكي عن الكسائي أنه قال: إنما نصب المستثنى لأن تأويله: قام القوم إلا أن زيدا لم يقم، وحكي عنه أيضا أنه قال: ينتصـــب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول.

وذهب البصريون إلى أن العامل في المستثنى هو الفعل أو معنى الفعل بتوسط "إلا"، والمسألة مبسوطة في كتب النحو فليرجـــع إليها.

2 ــ المقصور والممدود.

3 ــ الحجة في علل القراءات.

4 ــ الحلبيات في النحو.

توفي الفارسي في بغداد، يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول، سنة ســـبع وســـبعين وثلاث مائة ــ 377 هــ ــ.

# الفـــــراء

## (إمـام لغويـي الكـوفـة)

**"لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس"**

**أبو بكر الأنباري**

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفرّاء النحوي مولى بنـــي أســـد، ولـــد بالكوفة، ونزل بغداد.

تتلمذ على: قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وحازم بن الحسين البصري، والكسائي، وأبـــي الأحوص، وأبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وكان يعتمد على حافظته في طلـــب العلـــم، فإنه لم ير في يده كتاب إلا مرة واحدة، فقد كان يطوف مع زملائه على الشيوخ فما رأوه أثبت سوادا في بياض قط[1]، لكنه إذا مر حديث فيه شيء من التفسير أو يتعلق بشيء من اللغة قـــال للشيخ: أعده علي، فكان يحفظ ما يحتاج إليه.

عرف بـــ"**الفرّاء**" لأنه كان يفري الكلام، ويأتي بالعجب فيه، وكان يتفلســـف فـــي كتاباتـــه ومصنفاته[2].

---

1 ــ أي: لم يروه يكتب قط.

2 ــ يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة.

وكان أكثر مقامه ببغداد، وكان يجمع طوال دهره، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة وأقام بها أربعين يوما في أهله يفرق فيهم ما جمعه ويبرهم.

ومن مجالسه مع العلماء أنه كان مع محمد بن الحسن يوما، فقال الفراء: قلّ رجل أمعن في فن من العلم إلا سهل عليه غيره.

فقال له محمد: فأنت الآن قد أمعنت النظر في العربية، فنسألك عن مسألة من الفقه؟

فقال: هات.

قال: ما تقول في رجل صلى فسها فسجد فسها في السجود؟

ففكر ساعة، فقال: لا شيء عليه.

قال: ولم لا؟

قال: لأن المصغر عندنا لا يصغر، وأما السجدتان تمام الصلاة، فليس لتمام تمام.

فقال له محمد: ما ظننت آدميا يلدّ[1] مثلك.

قال أبو بكر الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس، وكان يقال: النحو للفراء، والفراء أمير المؤمنين في النحو.

قال ثمامة بن أشرس[2]: رأيت الفرّاء ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته عارفا باختلاف القول، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب والشعر والنجوم، فأعلمت به أمير المؤمنين المأمون فطلبه، وكلفه بتلقين ولديه النحو، وفي نهاية أول مجلس لهما مع الفراء، وعندما أراد القيام، ابتدرا إلى نعله، فقدم كل واحد فردة، فبلغ ذلك المأمون، فقال: لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلمه.

وممن تتلمذ على يديه: سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري.

له من الكتب:

1 ــ كتاب معاني القرآن، وكان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني: أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلت.

---

1 ــ لدّ الرجلَ: جادله فغلبه.

2 ــ هو من شيوخ المعتزلة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، تنسب إليه الفرقة الثمامية.

فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أمل عليكم كتابا في القرآن، وجعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها ثم نوفي الكتاب كله فقرأ الرجل ويفسر الفراء[1].

2 ـ البهي ألف لعبد الله بن طاهر.

3 ـ اللغات.

4 ـ المصادر في القرآن.

5 ـ الجمع والتثنية في القرآن.

6 ـ الوقف والابتداء.

7 ـ الفاخر.

8 ـ آلة الكتاب.

9 ـ النوادر.

10 ـ فعل وأفعل.

11 ـ المقصور والممدود.

12 ـ المذكر والمؤنث.

13 ـ الحدود: وكان السبب في إملائه الحدود أن جماعة من أصحاب الكسائي صاروا إليه وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو، ففعل، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض: إن دام هذا على هذا علم النحوَ الصبيانُ، والوجه أن يقعد عنه، فقعدوا، فغضب وقال: سألوني القعود فلما قعدت تأخروا، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان، فأملا ذلك ستة عشر سنة.

توفي الفراء بطريق مكة سنة سبع ومائتين ـ 207 هـ ـ

---

1 ـ وقيل السبب في كتابته "معاني القرآن": أن المأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وأفرد في حجرة، وقرر له خدما وجواري ووراقين، فكان يملي في ذلك سنين، ولما أملى كتاب "معاني القرآن" اجتمع له الخلق فكان من جملتهم ثمانون قاضيا وأمل الحمد في مائة ورقة، وربما اجتمع السببان معا لكتابته "معاني القرآن".



## (النحـوي القـارئ)

## "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي"

**الشافعي**

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ــ وقيل بَهْمَن ــ بن فيروز، وقيل كــان يكنى بأبي عبد الله، أصله أعجمي، من أهل الكوفة، ومنشؤه بها، ولد في حدود ســنة عشــرين ومائة ــ 120هــ ــ، وكان ينتقل في البلدان.

وسمي "الكِسائي" لأنه كان يحضر مجلس معاذ الهَرَّاء[1]، والناس عليهم الحلل، وعليه كِســاء ورداء.

تعلّم الكسائي النحو على كبر، وسبب ذلك أنه جاء إلى قوم وقد أعيا[2]، فقال: قد عييت[3].

فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن.

قال: كيف لحنت؟

قالوا له: إن كنت أردت من التعب، فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة، والتحيّر في الأمر، فقل: عييت.

---

1 ــ هو أبو مسلم معاذ الهراء، النحوي، البصري.

2 ــ الإعياء: هو التعب الشديد.

3 ــ العي: هو العجز في النطق، وعدم التمكن من إظهــار مــراد الكــلام، وهــو كــذلك عــدم الاهتــداء لوجــه المــراد في أمر أو حاجة.

فأنف[1] من ذلك، وقام من فوره، فسأل عمّن يعلم النحو، فدُلّ على معاذ الهرّاء، فلزمه، وتعلّم على الرّؤاسي[2].

ثم خرج إلى البصرة فتعلّم على الخليل، ثم خرج إلى البوادي فغاب مدة طويلة، وكتب الكثير من اللغات والغريب عن الأعراب بنجد وتهامة، ثم قدم وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر[3].

وهو من القرّاء السبعة[4]، قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، وحمزة بن حبيب، فما خالف فيه الكسائي حمزة فهو بقراءة ابن أبي ليلى، وكان ابن أبي ليلى يقرأ بحرف علي رضي الله عنه، وكان الكسائي من قرّاء مدينة السلام[5]، وكان أوّلا يقرئ الناس بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، فأقرأ بها الناس في خلافة هارون الرشيد.

قرأ عليه أبو عمرو الدوري، وأبو الحارث الليث، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأحمد بن أبي سريج النهشلي، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل، وعيسى بن سليمان الشيزري، وأحمد بن جبير الأنطاكي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن سفيان، وخلق سواهم.

وحدث عنه يحيى الفراء، وخلف البزار، ومحمد بن المغيرة، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن يزيد الرفاعي، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن سعدان، وعدد كثير.

ولما قدم الكسائي بغداد، أشرف هارون الرشيد عليه، وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله، لحاجة يريدها، فابتدرها الأمين والمأمون ــ ولدي الرشيد ــ فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما، ثم أقسم عليهما ألاّ يعاودا، فلمّا جلس الرّشيد مجلسه، قال: أيّ الناس أكرم خادما؟

قالوا: أمير المؤمنين أعزّه الله.

---

1 ــ أنف: كره من ذلك، والأنفة: عزة النفس.

2 ــ هو أبو جعفر اللغوي، معاصر الخليل.

3 ــ قال أبو عمر الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي، وقال الشافعي رضي الله عنه: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي.

4 ــ القراءات المتواترة عند الأكثرين سبعة: 1 ــ نافع، وله راويان: قالون وورش، و2 ــ ابن كثير، وله راويان: البزي وقنبل، 3 ــ أبو عمرو، وله راويان: الدوري والسوسي، 4 ــ ابن عامر، وله راويان: هشام وابن ذكوان، 5 ــ عاصم، وله راويان: شعبة وحفص، 6 ــ حمزة، وله راويان: خلف وخلاد، 7 ــ الكسائي، وله راويان: أبو الحارث والدوري.
وليس معنى هذا ا أن لكل من هؤلاء المشايخ راويين فقط، حتى إذا وجدنا لهم راويا غير هؤلاء حكمنا بالشذوذ، بل لكل منهم رواة كثير، وإنما اختاروا منهم اثنين لشهرتهما.

5 ــ هي بغداد.

قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحدّثهم الحديث، وعهد إلى بتأديب ولديه.

ومن قصص الكسائي مع هارون الرشيد أنه قال: صليت بهارون الرّشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية، ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول **{ لعلهم يرجعون }**، فقلت: " لعلهم يرجعين "، فوالله ما اجترأ هارون أن يقول: أخطأت، ولكنه لمّا سلّم قال: أيّ لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أمّا هذه فنعم.

وقصة أخرى هي أنه اجتمع الكسائي واليزيدي[1] عند الرشيد، فحضرت صلاة، فقدّموا الكسائي يصلّي، فأرتج عليه[2] قراءة **{ قل يا أيها الكافرون }**، فقال اليزيدي: قراءة **{ قل يا أيها}** ترتج على قارئ الكوفة ! فحضرت صلاة، فقدّموا اليزيدي، فأرتج عليه في الحمد، فلمّا سلم، قال: احفظ لسانك، لا تقول فتبتلى، إنّ البلاء موكل بالمنطق.

وعن الفرّاء[3] قال: ناظرت الكسائي يوما وزدت، فكأنّي كنت طائرا أشرب من بحر.

وقال: لقيت الكسائي يوما، فرأيته كالباكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك، يحيى بن خالد، يحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن الزلل، فقلت: يا أبا الحسن من يعترض عليك، قل ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده، فقال: قطعه الله إذاً إن قلت ما لا أعلم.

له من الكتب:

1 ــ كتاب معاني القرآن.

2 ــ كتاب مختصر النحو.

3 ــ كتاب القراءات.

4 ــ كتاب العدد.

5 ــ كتاب النوادر الكبير.

6 ــ كتاب النوادر الأوسط.

7 ــ كتاب النوادر الأصغر.

8 ــ كتاب مقطوع القرآن وموصوله.

---

1 ــ هو يحيى بن المبارك العدوي، نحوي لغوي مقرئ، كان مؤدّب المأمون.

2 أُرتِجَ على الخطيب: أستُغلِق عليه الكلام.

3 ــ هو أبو زكرياء الديلمي، إمام لغويي الكوفة، تلميذ الكسائي، ومؤدب ابني المأمون.

9 ـ كتاب اختلاف العدد.

10 ـ كتاب الهجاء.

11 ـ كتاب المصادر.

12 ـ كتاب أشعار المعاياة وطرائقها.

13 ـ كتاب الهاآت المكنى بها في القرآن.

14 ـ كتاب الحروف.

15 ـ كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة.

16 ـ كتاب الحدود في النحو.

17 ـ كتاب ما تلحن فيه العوام، ألّفه لهارون الرشيد.

وهو أوّل من صنّف في علم الآيات المتشابهات[1]، كما قال السيوطي في الاتقان.

ولمّا اشتد مرض الكسائي ـ وكان بقرية من قرى الري، يقال لها: رنبويه ـ جعل الرشيد يدخل عليه يعوده دائما، فسمعه يوما منشدا:

قدرٌ أحلّك ذا النُّخَيْلِ[2] وقد أرى —وأبيك— ما لَك ذُو النُّخَيْل بِدارِ

إلاّ كَدَارِكُم بذي بَقَرِ[3] الحِمَى هيهات ذو بقرٍ منَ المُزْدَارِ

فخرج الرشيد وقال: مات الكسائي والله، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنه حدثني أن أعرابيا كان ينزل عليه، فاعتلّ فتمثل بهذا البيت ومات عنده، فمات الكسائي من يومه.

مات الكسائي سنة تسع وسبعين ومائة ـ 179 هـ ـ، ودفن ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف القاضي في يوم واحد، حتى قال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالري.

---

1 ـ وذلك كإبراز القصة الواحدة في سور شتى، وآيات مختلفة، بأن يأتي في موضع مقدما، وفي آخر مؤخرا، وفي موضع بزيادة، وفي موضع بدونها، أو مفردا ومنكرا وجمعا، أو مدغما ومنونا، إلى غير ذلك من الاختلافات، وهو من فروع التفسير.

2 ـ ذو النخيل: هو من أعراض المدينة من ينبع، وقيل: موضع قرب مكة.

3 ـ ذو بقر: واد بين أخيلة الحمى.، حمى الربذة.




## (صاحب التّصريف والتّصانيف)

### "لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني"

**المبرّد**

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عدي المازني[1]، النحوي البصـــري، صـــاحب التصـــريف والتصانيف.

اتصل بالخليفة العباسي الواثق بالله " المتوفى سنة 232 هـــ "، فوصله بمـــال جزيـــل، ثـــم بالمتوكل بعده.

أخذ المازني عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى، وأبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْـــب الأصـــمعي، وأبي سعيد بن أوس الأنصاري.

وأخذ عنه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، وقد لازمه واختص به، والفضـــل بـــن محمـــد اليزيدي، والحارث بن أبي أسامة، وموسى بن سهل الجوني.

---

1 ــ نسبة إلى بني مازن بن شيبان.

قرأ المازني وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي كتاب سيبويه على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، وقرأ أبو الفضل العباس بن فرج الرياشي النصف الأول من كتاب سيبويه على المازني، وقرأ أبو العباس المبرد ثلث كتاب سيبويه على الجرمي، وتوفي الجرمي فابتدأ قراءته على المازني.

قال المبرد: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني، قال: وذكر لنا المازني أن رجلا قرأ عليه كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره قال: أما إني ما فهمت منه حرفا، وأما أنت فجزاك الله خيرا.

ويروى عن المازني أنه كان يقول: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح.

وكان المازني ذا ورع ودين، قد جاءه يهودي ــ حصّل النحو ــ ليقرأ عليه كتاب سيبويه، فبذل له مائة دينار، فامتنع وقال: هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مائة آية ونيف، فلا أمكن منها ذميا.

قال القاضي بكار بن قتيبة: ما رأيت نحويا يشبه الفقهاء إلا حبان بن هلال والمازني.

وكان المازني من أهل القرآن أيضا، فقد قال عن نفسه: قرأت على يعقوب الحضرمي[1] القرآن، فلما ختمت رمى إلي بخاتمه وقال: خذ، ليس لم مِثل.

وكان أبو العباس المبرد يصف المازني بالحذق بعلم الكلام والنحو، قال: وكان إذا ناظر أهل الكلام لم يستعن بشيء من النحو، وإذا ناظر أهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام.

<u>ومن مجالسه مع المتوكل:</u> أنه كان في المجلس ابن السكيت ــ العالم باللغة والأدب ــ فقال له المازني: ما وزن " نكتل "[2]؟

قال: " نفعل ".

قلت: اتئّد، ففكر وقال: " نفتعل ".

قلت: فهذه خمسة أحرف.

فسكت.

فقال المتوكل: ما وزنها؟

---

1 ــ هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، المتوفى سنة 205 هـ، وله قراءة مشهورة، هي إحدى القراءات العشر.

2 ــ قال تعالى: { **فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون** } يوسف 63.

قلت: وزنها في الأصل " نفتعل "؛ لأنها "نكتيل" فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفا، فصار "نكتال"، فحذفت ألفه للجزم، فبقي "نكتل".

وأهم تصانيف المازني:

1 ــ التصريف، وقد شرحه ابن جني.

2 ــ ما يلحن فيه العامة.

3 ــ الألف واللام، وقد شرحه أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني.

4 ــ العروض.

5 ــ القوافي.

وقد توفي المازني بالبصرة سنة 247 هــ، وهي السنة التي قُتل فيها المتوكل وبويــع ابنــه المنتصر بالله.



## (إمام نحويي البصرة)

**"وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن ـ الأدب ـ وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها، وكتب المُحْدَثين في ذلك كثيرة".**

**ابن خلدون**

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزديّ النّحويّ اللغويّ المعروف بالمبرّد، ولد بالبصرة سنة [210هـ = 825م]، ونشأ بها، ثم طلبه الخليفة المتوكل إلى سُرَّ مَن رأى سنة 246 هـ، ولما قُتل المتوكل سنة 247 هـ رحل المبرّد إلى بغداد.

كان المبرّد فصيحا، بليغا، مفوها، ثقة، أخباريا، علامة، صاحب نوادر وظرافة، وكان جميلا، لا سيما في صباه.

لُقِّب بالمبرّد لأنه لما صنّف المازني كتاب "الألف واللام" سأله عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرِّد ــ بكسر الراء ــ، أي: المثبت للحق، حرّفه الكوفيون وفتحوا الراء[1].

كان أبو العباس المبرّد إمام النحويين البصريين في عصره، وكان أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب إمام النحويين الكوفيين[2]، فكانت بينهما خصومة ومنافرة، واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حَزَنا أنّا جميعا ببلدة[3] ويجمعنا في أرضها شرٌّ مَشْهَدِ

وكلٌّ لكلٍّ مخلصُ الودّ وامقٌ ولكنه في جانب عنه مُفْرَدِ

نروحُ ونغدو لا تزاورَ بيننا وليس بمضروبٍ لنا يومُ مَوْعِدِ

فأبداننا في بلدةٍ والتقاؤنا عسيرٌ كلُقيا ثعلبٍ والمبرّدِ

أخذ المبرد النحو عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستاني.

وأخذ الأدب والأخبار عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوزي، وأبي الفضل العباس بن الفرج الريّاشي، وعمر بن نحر الجاحظ، وذكرهم كثيرا في كتابه "الكامل".

وكان المبرّد ذا فطنة وذكاء وسرعة بديهة، وخير شاهد على ذلك أن جاءه رجل فقال له: ما "القَبَعْضُ"؟ فقال: القطن، قال: وما الحجة؟ قال: قول الشاعر:

* كأن على مشافرها قبعضا *

وسكت هنيهة، ثم قال: أين السائل عن قبعض؟ فقام الرجل، فقال له: هذه كلمة أخذت من طرفي كلمتين من بيت طرفة: "فاستبقَ بَعْضُنَا"[4]، فتعجب الناس من سرعة جوابه وافتعاله المصراع حتى رد الخصم وأسكته، ثم من فطنته للموضع الذي أخذت منه الكلمة.

---

1 ــ غيرة وحسدا، فقد نسبوه إلى البَرَدَة، والبردة: التخمة، قيل سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام ولا تنضجه.

2 ــ حيث أطلق البصريون "أبا العباس" فالمراد به المبرد، وحيث أطلقه الكوفيون فالمراد به ثعلب.

3 ــ يعني بغداد.

4 ــ وهذا البيت حين أمر النعمان بقتله، فقال:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك * بعض الشر أهون من بعض

فصارت عبارة "**بعض الشر أهون من بعض**"، تضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت، وهذا كقولهم: "إن من الشر خيارا".

وممن أخذ عن أبي العباس المبرد:

1 ــ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، أقدم تلاميذه، وكان من يريــد أن يقــرأ علـــى المبرّد يعرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه، وكان أولا يأخذ عن ثعلب، ثم انقطع إلى المبرد أول قدومه إلى بغداد.

2 ــ أبو الحسن بن كيسان، وكان بصريا كوفيا، يحفظ القولين ويعرف المذهبين، وكان أخذ عن ثعلب والمبرد، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر، وإلى هذين التلميذين انتهت الرياســة في النحو بعد أبي العباس بن يزيد.

3 ــ علي بن سليمان الأخفش الأصغر، راوي "الكامل" وصاحب الحواشي التي فيه.

4 ــ وأبو بكر محمد بن يحيى الصُّولي، صاحب "أخبار أبي تمام".

5 ــ وإبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بــ"نِفطويه"، أخذ عن ثعلب والمبــرد، وخلــط المذهبين.

6 ــ وأبو علي أحمد بن جعفر الدِّينَوَري، وكان ختَن أبي العباس ثعلب زوج ابنتــه، وكــان يخرج من منزل ختنه أبي العباس، فيتخطى أصحابه، ويمضي ومعه محبرته ودفتــره، فيقــرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فكان يعاتبه أحمد بن يحيى ثعلب على ذلك ويقــول: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه، يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله.

7 ــ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَستويه الفسوي، لقي المبرد وثعلبا وأخذ عنهما، وكان فاضلا متمكنا من علوم البصريين، ويتعصب لهم عصبية شديدة.

8 ــ أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، وكان من أحدث غلمان المبرد مــع ذكائه وفطنته، وكان المبرد يميل إليه ويقرّبه ويشرح له.

وكان للمبرد صلات بشعراء عصره ومُخالطة لهم، ويروي عنهم شعرهم، وكانت بينه وبين البحتري خاصة صداقة وثيقة تشبه العلاقة الطيِّبة التي كانت بين ابن جني والمتنبي، وقد توفي المبرد والبحتري في سنة واحدة، ولابن الرومي قصيدة طويلة جدا في مدح المبرد.

وله من الكتب:

1 ـ الكامل، وهو أشهر كتبه في الأدب، وقد جعله ابن خلدون من أركان الأدب الأربعة[1].

2 ـ المقتضب، وهو أكبر مصنفاته وأنفسها في النحو، ألّفه قبل "الكامل"، وقد تأثر المبرد في المقتضب بكتاب سيبويه تأثرا كبيرا، ولكنه لم يحظ بالانتشار الذي هو جدير به، والسر في ذلك أنه لما ألفه أخذه عنه ابن الراوندي المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد، وأخذه الناس من يد ابن الراوندي وكتبوه منه، فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد يُنتفع به، ولعل تصدير المبرّد للمقتضب ببعض المسائل الغامضة من الأسباب التي صدّت عن الانتفاع به وحدّت من انتشاره.

3 ـ الاشتقاق.

4 ـ الأنواء والأزمنة.

5 ـ القوافي.

6 ـ الخط والهجاء.

7 ـ المدخل إلى سيبويه.

8 ـ المقصور والممدود.

9 ـ المذكر والمؤنث.

10 ـ معاني القرآن، ويعرف بـ"الكتاب التام".

11 ـ احتجاج القراءة.

12 ـ الرسالة الكاملة.

13 ـ الرد على سيبويه، وعدة مسائل النقد في هذا الكتاب 131، منها قرابة أربعين صرّح المبرّد بأنه أخذها من نقد الأخفش والجرمي والمازني وغيرهم، والباقي نقد لم يتبع فيه غيره.

وقد ألف المبرد هذا الكتاب قبل "المقتضب"، فبقي في المقتضب على رأيه في 34 مسألة من مسائل النقد، أما المسائل الأخرى فقد رجع فيها عن نقده، أو أمسك فيها عما قاله في النقد، أو لم يعرِض لها إطلاقا.

14 ـ قواعد الشعر.

---

1 ـ قال ابن خلدون في مقدمته: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن ـ الأدب ـ وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها، وكتب المُحْدَثين في ذلك كثيرة".

15 ـــ إعراب القرآن.

16 ـــ الحث على الأدب والصدق.

17 ـــ قحطان وعدنان.

18 ـــ الزيادة المنتزعة من سيبويه.

19 ـــ المدخل في النحو.

20 ـــ شرح شواهد كتاب سيبويه.

21 ـــ ضرورة الشعر.

22 ـــ أدب الجليس.

23 ـــ الحروف في معاني القرآن إلى طه.

24 ـــ صفات الله جل وعلا.

25 ـــ الممادح والمقابح.

26 ـــ الرياض المؤنقة.

27 ـــ أمساء الدواهي عند العرب.

28 ـــ الإعراب.

29 ـــ الجامع، لم يتمه.

30 ـــ التعازي.

31 ـــ الوشى.

32 ـــ معنى كتاب سيبويه.

33 ـــ الناطق.

34 ـــ العروض.

35 ـــ معنى كتاب الأوسط للأخفش.

36 ـــ البلاغة.

37 ـــ شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها.

38 ـــ ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن.

39 ـــ الفاضل والمفضول.

40 ـــ طبقات النحويين البصريين وأخبارهم.

41 ــ العبارة عن أسماء الله تعالى.

42 ــ الحروف.

43 ــ التصريف.

44 ــ الروضة.

توفي المبرد في بغداد سنة 285 هــ، وقيل: في [28 من ذي الحجة 286هــ = 5 من يناير 900م]، ودفن في مقابر باب الكوفة.

# الفهرس